جامعة مولاي إسماعيل
شعبة الدراسات الإسلامية
مكناس

محاضرات في الأدب الإسلامي، بعنوان:

"الأدب الإسلامي بين النشأة والتأصيل"

لطلاب الفصل الرابع (الفوج 3و4)

د. سعيد المصلح

الموسم الجامعي: 2019/2020

المحاضرة الأولى: تعريف الأدب

إشكالية المفهوم

إذا كنا اليوم في عصر يتميّز بكثرةِ المصطلحات، وبروز مذاهب أدبيّة عديدة. فيجدر بنا، ونحن نعالج مصطلح "الأدب الإسلامي" وأهم وظائفه، وأغراضه، وخصائصه، وأجناسه، يجدر بنا أن نتعرف على حقيقة المفاهيم.

صعوبة تحديد المفاهيم وتوحيدها

يكثر على ألسنة الناس استعمال كلمات مختلفة في سياق معين ظناً منهم أنها من المترادفات، على الرغم من وجود اختلاف جوهري بينها، مما ينعكس سلباً على فهم وإدراك المعاني. ومن الكلمات التي تُستعمل بشكل واسع، ويقع الخلط بينها: المفهوم والمصطلح والتعريف.

الفرق بين المفهوم والمصطلح والتعريف:

يعتقد الكثير أن "المفهوم" و"المصطلح" و"التعريف" مترادفات لفظية، والواقع أن كل واحد منها يختلف عن الآخر؛ حيث إنَّ لِكُلٍّ دلالتَه وماهيتَه. ويمكن تحديد الفروق بين هذه الكلمات على النحو الآتي:

أولا: "المفهوم":

* **لغة** : مصدر فهم، والفهم معرفتك بالشيء بالقلب، فهمه فَهْماً، وفَهَما وفهامة: علِمه. وتفهّم الكلام: فهمه شيئاً بعد شيء[1].

أما اصطلاحاً: فهناك عدة تعريفات للمفهوم[2]، وأقرب التعاريف ما ذكره الآمدي[3]؛ حيث قال: "هو ما فهم من اللفظ في غير محل النطق"

إن **المفهوم** أساس لغة التعامل الإنساني. ويمكن تحديده بأنه فكرة أو صورة عقلية تتكون في ذهن الإنسان، نتيجة للخبرات المتتابعة التي يكتسبها فيما يتعلّق بشأن من

---

1 - لسان العرب: 10/343.

2 - انظر البرهان للجويني: 1/448-449، وشرح الكوكب المنير لابن النجار: 3/480، والبحر المحيط للزركشي: 3/480، ونهاية الوصول لصفي الدين الهندي: 5/2035.

3 - الإحكام للآمدي: 3/74.

الشؤون، أو تجربة من التجارب التي يخوضها؛ فالمفهوم فكرة مجردة عن الخصائص الأساسية للشيء الذي تمثله. كما يشترك جميع أفراد المفهوم في الصفات والخصائص التي تميزه عن غيره من المفاهيم الأخرى.

ويتم التعامل مع المفاهيم في كثير من التخصصات، مثل علم اللغة وعلم النفس والفلسفة والعمارة وغيرها..

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك تجربة الإنسان في النواحي الدينية المختلفة؛ كالصلاة، والصوم، والحج، وما إلى ذلك...، حيث تبدأ هذه التجارب مع الإنسان منذ الصغر، ومع مرور الزمن تزداد خبرته بها من خلال ممارسته العمليّة، فيدرك حقيقتها وخصوصيتها، فيتكوّن لديه مفهوم متكامل عنها.

ثانيا: "المصطلح":

المصطلحات هي مفاتيح العلوم، على حد تعبير الخوارزمي. وقد قيل إنّ فهم المصطلحات نصف العِلم، لأنّ المصطلح هو لفظ يعبر عن مفهوم، والمعرفة مجموعة من المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في شكل منظومة.
ويختلف "المفهوم" عن "المصطلح" في كون المفهوم يركز على الصورة الذهنية، أما المصطلح فإنه يركز على الدلالة اللفظية للمفهوم، والوسيلة الرمزية التي يستعين بها الإنسان للتعبير عن المعاني والأفكار المختلفة بغية توصيلها لغيره من الناس. كما أن المفهوم أسبق من المصطلح.
(فمثلا مصطلح "الصلاة" يدل على مفهوم معين مكون من العناصر المشتركة بين التكبير وقراءة القرآن، والقيام والركوع والسجود، والتشهد والسلام. وهكذا...

وتترادف كلمة **"مصطلح" و"اصطلاح"** في اللغة العربيّة، وهما مشتقتان من "اصطلح" (وجذره صلح) بمعنى: "اتفق"؛ "لأنّ المصطلح أو الاصطلاح يدلُّ على اتفاق أصحاب تخصص ما على استخدامه للتعبير عن مفهوم علميّ محدد".[1]

ثالثا: "التعريف":

في اللغة:[2] من عَرَفَ الشيءَ؛ أي: عَلِمَه، عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً وعِرْفاناً وعِرفَةً وعِرِفَّاناً، بكَسْرَتَيْنِ وفاء مُشَدَّدَةٍ: عَلِمَه، فهو عارِفٌ وعَريفٌ وعَروفَةٌ. وعرَّفَ الأمر؛ أي: أَعْلَمَ به غيرَه، وعُرْفُ اللسان: ما يفهم من اللفظ بحسب وضعه اللغوي، وعُرْف الشارع: ما جعله علماء الشرع مبنى الأحكام.

أما في الاصطلاح، فالتعريف هو: المتعارف عليه عند كل الناس. وهو عبارة عن ذكر شيء تستلزم معرفته معرفة شيء آخر. وينقسم إلى تعريف حقيقي؛ ويقصد به أن يكون حقيقة ما وضع اللفظ بإزائه من حيث هي، فيعرف بغيرها، وتعريف لفظي؛ ويقصد به أن يكون اللفظ واضح الدلالة على معنى، فيفسر بلفظ أوضح دلالة على ذلك المعنى؛ كقولك: "الغضنفر": "الأسد"، وليس هذا تعريفًا حقيقيًّا يراد به إفادة تصور غير حاصل، إنما المراد تعيين ما وضع له لفظ "الغضنفر" من بين سائر المعاني..

والتعريف أيضاً هو تقديم المعلومات عن شيء معين، ومحاولة ذكر مختلف الخصائص التي تميّزه، بهدف تحديده، ووصفه، لتقديمه للآخرين.

---

1 - من كتاب علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية/ الدكتور علي القاسمي، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2008، الباب الرابع، الفصل السادس عشر (المصطلحية: علم المصطلح وصناعة المصطلح)

2 - لسان العرب، والقاموس المحيط (ع ر ف).

لذلك يبدأ المتحدثون بالتعريف بكافة المصطلحات التي ستعرض لهم خلال الحوار، بهدف وضع كافة المشاركين على رؤى معرفية متقاربة إلى حد ما.

مفهـــــــوم "الأدب":

اختلف مدلول كلمة «أدب» عبر العصور، فدلت على الدعوة إلى الطعام؛ قال طرفة:[1]

نَحْـــنُ في المَشْتاةِ نَدْعُـــــــو الـجَفَـــــلَى
لا تَـــــــــــــــــــــــرَى الآدِبَ فِينا يَنْتَـــقِـــــــــــرْ

ومن ذلك المأدبة بمعنى الطعام الذي يُدعى إليه الناس. واشتقّوا من هذا المعنى أدُبَ يأدُب بمعنى صنع مأدبة أو دعا إليها.

وفي العصر الإسلامي يرد فعل «أدّب» بمعنى «هذَّب»، في حديث النبي صلى اللّه عليه وسلم **«أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»**[2]. ويُضاف إلى الكلمة معنى آخر في العصر الأموي، إلى جانب معناها التهذيبي الخلقي، وهو المعنى التعليمي، فتستخدم في الإشارة إلى «المؤدِّبين» وهم نفر من المعلمين كانوا يلقنون أولاد الخلفاء الشعر والخُطب واللغة وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام. وقد استمر الجمع بين معنيي التهذيب والتعليم في العصر العباسي

كما يلاحظ في كتاب «الأدب الكبير والأدب الصغير» لابن المقفع. و«باب الأدب» من

«ديوان الحماسة» لأبي تمام، و«كتاب الأدب» لابن المعتز.

---

1 - شمس العلوم- نشوان بن سعيد الحميري -توفي: 573هـ/1177م. المشتاة: الشتاء، و[الجَفَلى]: أن يدعوَ الرجل الناسَ إلى طعامه عامةً من غير تخصيص.

2 - قال ابن تيمية: معناه صحيح، لكن لا يعرف له إسناد ثابت. انظر "أحاديث القصاص: 78". وأورده الشوكاني في "الفوائد المجموعة" (1020)، والفَتَّنِي في "تذكرة الموضوعات" (87) ..

وبوجه عام يمكن القول إن الكلمة كانت تطلق في القرنين الثاني والثالث الهجريين وما تلاهما من قرون على معرفة أشعار العرب وأخبارهم، وكان المؤلفون العرب يصنفون كتباً ينعتونها بأنها كتب أدب[1]..

والواقع أنه لم تقف الكلمة عند هذا المعنى التعليمي الخاص بصناعتي النظم والنثر وما يتصل بهما من الملح والنوادر، بل اتسعت أحياناً لتشمل كل المعارف التي ترقى بالإنسان في الجانب الاجتماعي والثقافي.. وبهذا المعنى الواسع نجدها لدى "إخوان الصفا" في القرن الرابع الهجري[2] عندما استخدموها في رسائلهم للدلالة على علوم السحر والكيمياء والحساب والمعاملات والتجارة، فضلاً عن علوم القرآن والبيان والتاريخ والأخبار.

ويبدو أن هذا المعنى الواسع كان الأساس الذي استند إليه ابن خلدون في إطلاق لفظة الأدب على جميع المعارف سواء أكانت دينية أم دنيوية؛ فالأدب فيما يراه «لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود به عند أهل اللسان ثمرته؛ وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم. ثم إنهم إذا أراد أحد هذا الفن قالوا الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها، والأخذ من كل علم بطرف».[3]

وبعضهم يطلق الأدب على التأليف عامة، فترجم ياقوت الحموي في ((معجم الأدباء)) للمؤلفين في جميع أنواع المعرفة، وأطلقه بعضهم على النظم والثقافات الضرورية

---

1 - مثل «البيان والتَّبَيُّنُ» للجاحظ، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة، و«الكامل في اللغة والأدب» للمبرِّد، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي، و«زهر الآداب» للحصري.

2 - "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا" مجموعة من اثنتين وخمسين (52) رسالة لكتاب مجهولين، سموا "إخوان الصفا"، ظهرت في البصرة، وبلغت إلى الأندلس، وكان لها تأثير كبير على كثير من العلماء والمفكرين.

3 - مقدمة ابن خلدون، الفصل (45) في علوم اللسان العربي.

لفئة من المجتمع، كما في كتب أدب الكتاب والوزراء والقضاة وغيرها.

وللأدب الآن معنيان: معنى عام يدل على الإنتاج العقلي مدوناً في الكتب، ومعنى خاص يدل على الكلام الجيد الذي يُـحدث لمتلقيه لذة ومتعة فنية، إلى جانب المعنى الخلقي.

والأدب أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف الإنسان وأفكاره وخواطره وهواجسه بأرقى الأساليب الكتابية. وهو من فنون القول؛ يعبر بالكلمة الساحرة. وثمرتُهُ آثارٌ نثرية أو شعرية تتميز بجمال الشكل وتنطوي، غالباً، على مضمون ذي بُعْد إنساني يُضفي عليها قيمةً كبيرة..

ويُقسم الأدب، تقليدياً، إلى «نثر» و«شعر» والنقاد الغربيون يقسمونه إلى «تخييل» أو «أدب تخييليّ». ويشمل الأدبُ التخييليّ: الروايةَ، والأقصوصة أو القصة القصيرة، والأدب المسرحي، والشعر. ويشمل الأدب اللاتخييليّ المقالةَ، والسِّيرة، والسِّيرة الذاتية، والنقد الأدبي، ونحوها..

وقد عرّف الدكتور محمد مندور الأدب بأنه "صياغة فنية لتجربة بشرية"[1]، كما اعتبر أنه "نقد للحياة"[2].. وعرّفه الدكتور شوقي ضيف بأنه "الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القرَّاء والسامعين سواء أكان شعراً أم نثراً"[3]. وعرّف الأستاذ محمد المجذوب – رحمه الله – بأنه:[4] "الفنّ المصوّر للشخصية الإنسانيّة من خلال الكلمة المؤثرة".

والأدب نشاط وثيق الصلة بالحياة والحضارة، تحتاجه كل أمة ركيزة بجوار الركيزة المادية في نهوضها وانطلاق مسيرتها؛ فهو تعبير "جمالي مؤثر" عن الرؤى والتجارب

---

1 - محمد مندور، الأدب ومذاهبه، ص 183.

2 - محمد مندور، الأدب ومذاهبه، ص 183.

3 - شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص: 7

4 - مجلة البعث الإسلامي ـ الهند: عدد رمضان / شوال سنة 1401هـ ـ (ص: 68).

والمواقف والقناعات والخبرات، وهو أداة تساعد الإنسان في التعرف على كونه، وكينونته. ويعكس إيديولوجية الأمة وتاريخها، ومرآة فكرها وحياتها، ومنبعا من منابع حيويتها وطاقاتها، ومنطلق نجاحها، وذلك لأنه يصقل الهمم، ويثير كوامن العزائم. وهو يشتمل على نواحي الحياة الروحية كلِّها؛ فالنفس لا تتوق إلى المعالي إلا بالأدب، وبه تنشد النفس ضوالَّه المتعددة، وجميع الأسباب التي لا ترقى الأمم إلا بها من نظم ونَثْر، وزجل وأمثال، وحِكَم وقصص، وتاريخ.. وكل ما يَهزُّ النفس ويروقها، ويثير فيها الوَجْد ويشوقها، هي ألوان الأدب الذي لا مَنَاصَ للأمم التي تبغي العلياء، وتتقي الفناء من استيفاء شروطه، واستكمال أدواته، حتَّى ترقى معارج الحضارة، وتَتَّسِق لها السعادة والسيادة..